مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ

عبد الرحمن بن حمَّاد العمر

١٣٥٤ - ١٤٣٧هـ

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

من إصدارات

مؤسسة عبد الرحمن بن حماد العمر الوقفية
ABDULRAHMAN H. AL OMAR CHARITABLE FOUNDATION

بسم الله الرحمن الرحيم

مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللهُ عَلَيه وسَلَّمَ –[١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد:

- **حياته وسيرته ﷺ[٢]:**

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من ذرية نبي الله ورسوله إسماعيل عليه السلام ابن نبي الله وخليله ورسوله إبراهيم عليه السلام.

وُلِدَ ﷺ يوم الاثنين التاسع أو الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل، وقد مات والده وهو في بطن أمه آمنة بنت وهب بن منبه.

أرضعته حليمة السعدية، وكان قد زهدت فيه المرضعات؛ ليتمه، ولأنه من بيت فقير، فكان حَظَّ حليمة التي أخذته بعد التردد، فأكرمها الله وأسرتها به وبإرضاعه.

فنالت به البركة من الله سبحانه من الصحة والأمن وسعة الرزق وسعادة الأيام والليالي، وكانت تتمتع بإرضاعه وبتربيته لم ينلها منه أذى. ولما بلغ سن إرجاع المرضعات الرُّضَّع إلى أهليهم طلبت من أمه بقاءه عندها؛ لكيلا ينقطع عنها ما أعطاها الله به من الخير والبركات.

ولما بلغ سن الرابعة نزل عليه جبريل عليه السلام وهو مع الصبيان، فأخذه وأضجعه وشَقَّ صدره وأخرج قلبه فأخذ منه مضغة فقال: "هذه حَظُّ الشيطان منه"، ثم غسل قلبه وأعاده كما كان، فخافت عليه مرضعته حليمة وأعادته إلى أمه بمكة.

ولما بلغ ست سنين توفيت أمه، وكفله جده عبدالمطلب، وكان فَرِحًا به يحنو عليه، ولما بلغ الثامنة من عمره مات جده عبدالمطلب فكفله عمه أبو طالب.

وكان من بركته يُستسقى المطر به إذا أمحلت قريش فيسقيهم الله. وكان من شعر عمِّه أبي طالب في مدحه:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

---

(١) من كتاب (الإسلام في بيان ما عليه النبي ﷺ وصحبه الكرام) تأليف فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن حماد العمر رَحِمَهُ اللَّهُ، الجزء الأول صـ (١٤٤:١٨٨).
(جمع وترتيب مؤسسة عبدالرحمن بن حماد العمر الوقفية رَحِمَهُ اللَّهُ).

(٢) مرجعنا في ذلك: صحيحا البخاري ومسلم، وصحيح السنن والسيرة النبوية، وقبل ذلك القرآن الكريم.

ولما بلغ الثانية عشرة من عمره سافر به عمُّه في تجارته إلى الشام.

فلما وصل هو ومن معه من الركب إلى بُصْرَى ونزلوا، وكان فيها الراهب (بَحِيرَى) فرمقه من بعيد، فخرج إلى الركب وكان لا يخرج قبل ذلك، فقصد إليه وأخذ بيده وقال: هذا سَيِّدُ العالمين، هذا رسول رَبِّ العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال أبو طالب ومن معه: وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم لما أشرفتم من العقبة لم يبقَ حجر ولا شجر إلا خر ساجدًا، ولا تسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة فأراهم إياه وقال: إنا نجده في كتبنا، ثم أكرمهم بالضيافة.

وسأل عمه أبا طالب أن يرده ولا يقدم به إلى الشام خوفا عليه من اليهود والروم، فأعاده مع غلمانه إلى مكة.

وكان ﷺ يأكل من كسب يده.

فكان يرعى غنمًا لأهل مكة وفي الحديث عنه ﷺ قال: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ الصَّحَابَةُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ**»(١).

وكان ذلك قبل أن يعمل في التجارة مع خديجة، فلما طلبت منه أن يذهب في تجارتها ومعه غلامها ميسرة إلى الشام فوافق ورجع بربح عظيم، فَكَبُرَ في نفسها، زيادة على ما اشتُهِر به من الصدق والأمانة والخلق العظيم حتى عُرِف بين قريش بالأمين.

فعرضت عليه زواجها رغم أنها قد رفضت الأشراف الذين تقدَّموا لخطبتها من رؤوس قريش، وكان سنها أربعين سنة، وكانت ثيبًا عقب زوجين، وكان سنه خمسًا وعشرين سنة، فاستشار أعمامه في زواجها لِماَ ظهر له من عفتها وشرفها وعقلها، فأشاروا عليه بها فتزوجها.

وصارت هي أم أولاده: القاسم الذي كان يُكَنَّى به، ثم زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله، وأما ابنه إبراهيم فهو من مارية القبطية، وجميع أبنائه ماتوا صغارًا، وأما بناته فكلُّهنَّ أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن، وقد توفين في حياته إلا فاطمة بقيت بعده ستة أشهر.

ولما بنت قريش الكعبة اختلفت قبائلها في وضع الحجر الأسود كُلٌّ منها يريد أن يتشرف بوضعه، حتى كادت الحرب تنشب بينهم، فاقترح أحد ساداتهم تحكيم أول داخل للمسجد، فوافق أن محمدًا ﷺ أول من دخل ففرحوا جميعًا بذلك وقالوا: هذا الأمين، هذا الحكم العدل، فلما حَكَّمُوه بسط رداءه ووضع الحجر في وسطه وأمر كل قبيلة أن يأخذ رجل منها بطرف منه، وأمرهم برفعه فلما وصل موضعه أخذه بيديه الشريفتين ووضعه، وكان عمره خمسة وثلاثين عامًا.

ولما قارب سن الأربعين حُبِّبَ إليه الخَلْوَةُ بعيدًا عن الناس؛ لأنه يكره ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان، وشرب الخمر، ولعب القِمار، والحَمِيَّة الجاهلية. وكان يذهب إلى غار حراء في أعلى الجبل–المسمى الآن: (جبل النور)، وهو من أعلى جبال مكة–يعبد الله سبحانه فيه بذكره والتفكُّر في خلقه، وكان يأخذ معه الزاد والماء ويقيم في الغار عدة أيام بلياليها، ثم يعود إلى مكة ليتزود لأيام أخر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦٢).

فلما بلغ سن الأربعين نزل عليه جبريل عليه السلام بوحي الله تعالى فأخذه وغَطَّهُ-أي: ضمه بشدة-، ثم أطلقه، فقال له: اقرأ. فأجابه: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»-أي: أنه لا يعرف القراءة لأنه أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب-.

وهذا من الدلائل على نبوته، وعلى أن القرآن كلام الله، فأعاد جبريل الإيحاء إليه بعدما أخذه وغَطَّهُ شديدًا، فأجابه كالأولى، ثم غَطَّهُ الثالثة وأرسله، فقال له: اقرأ، فأجابه كما سبق، فقال جبريل عليه السلام: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[العلق:١-٥]، وبنزول هذه الآيات عليه ﷺ صار نَبِيًّا.

والنَّبِيّ: هو من أوحى الله إليه بشرع ولم يأمره بتبليغه. وكان قبل أن يُوحَى إليه يرى الرؤيا فتحصل كما رأى، وبعدما نزل عليه أول الوحي خاف ورجع إلى خديجة ترجف بوادره فأخبرها. فقالت له: «**كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**» .

وفي هذه المواساة من خديجة رضي الله عنها التي صَدَقَتْ فيها تنبيه وموعظة لكل عاقل، أنه من المتفق عليه نتيجة التجارب المتواترة أَنَّ مَنْ هذه صفاته لا يخزيه الله سبحانه، بل يدفع عنه كل سوء في الجاهلية والإسلام، ولهذا تقول العامة: (اللقمة تدفع النقمة)، فذهبت خديجة رضي الله عنها بنبي الله ﷺ إلى ابن عمها ورقة بن نوفل، وكان قد تَنَصَّرَ وقرأ التوراة والإنجيل، فأخبره النبي ﷺ بما حصل. فقال ورقة: «**هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَه اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَع حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. قال ﷺ** : «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟». **قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ**».

ثم توقف عنه الوحي فترة؛ حتى اشتاق بل وحزن حزنًا عظيمًا لتوقفه، حتى أنزل الله عليه جبريل بآيات الرسالة من أول سورة المدثر: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾[المدثر:١-٧]، وبذلك صار نبيًّا رسولًا، نُبِّيء باقرأ، وأُرسل بالمدثر.

ووصفه الله سبحانه بالمدثر والمزمل؛ لأنه يقول لأهله إذا نزل عليه الوحي: «دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي». أي: غطوني بالدِّثَار (الغطاء)، ويقول حينا: «زَمِّلُونِي». أي: غَطوني.

ثم تتابع الوحي وهو يبلغه في أهل مكة وسائر العرب في المواسم والأسواق.

أخذ على ذلك ثلاث عشرة سنة بمكة، كلها دعوة إلى التوحيد والإيمان بالله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره؛ لأن السور والآيات المكية جميعها دعوة إلى توحيد الله تعالى، وترك الشرك بالله، ودعوة إلى الإيمان بالبعث والجزاء، وتذكير بقصص الرسل مع أممهم، وما عاقب به سبحانه المكذبين منهم من العقاب الأليم.

وكان يَلقى في سبيل الله الأذى العظيم ماديًّا ومعنويًا وجسديًا، ولكنه صابر محتسب، هو ومن آمن به واتبعه من الضعفاء والعبيد، حتى أذن الله له بالهجرة إلى المدينة.

وقبل الهجرة بمدة قصيرة أُسْرِيَ بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، وعُرِجَ به منه إلى السماء في ليلة واحدة لم يُعرَف لها تاريخ على الصحيح، وما يظنه المبتدعون الذين يحتفلون بالإسراء والمعراج أنها ليلة سبع وعشرين من رجب لا دليل عليه.

ولو صَحَّ لما جاز الاحتفال به؛ لأن رسول الله ﷺ ومن بعده خلفاؤه الراشدون وصحبه الكرام والتابعون لهم بإحسان لم يحتفلوا به ولا بعيد المولد، وإنما هي بدع ابتدعها الجُهَّال المقلدون لليهود والنصارى، وفي الحديث الصحيح قال ﷺ: «**وإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»(١).

وقد أُسري به ﷺ ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى على البُراق برفقة جبريل عليه السلام، وصلى بالأنبياء في بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السماء، وجبريل عليه السلام يستفتح له كل سماء، فَيُفْتَح له ويرى من فيها من الأنبياء، واجتماعه ﷺ بالأنبياء حق؛ لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، ولا يعلم كيفيته إلا الله سبحانه.

حتى وصل إلى أقرب مكان من الله سبحانه فوق السماوات، فأوحي إليه ما أوحى.

وفرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، وما زال يطلب من الله ﷻ التخفيف بنصيحة موسى عليه السلام له حتى استقرت خمسًا في الفعل وخمسين في الأجر، فلله الحمد والمنة.

ولما أخبر قريشًا بذلك استهزؤا به وقالوا لأبي بكر رضي الله عنه وكان أول من أسلم من الرجال: اسمع لصاحبك، فإنه يزعم أنه أُسري به إلى بيت المقدس وعُرِج به إلى السماء في ليلة. فقال أبو بكر: إن كان قال ذلك فقد صدق. قالوا: كيف تصدقه؟ فقال: أصدقه في خبر السماء الذي ينزل عليه في ساعة، ولا أصدقه في الإسراء والمعراج في ليلة. فسمَّاه النبي ﷺ الصدِّيق.

وفي معراجه رأى ﷺ من آيات ربه الكبرى، ورأى الجنة والنار، ورأى أصناف المعَذَّبين، ومنهم: أكلة أموال اليتامى ظلمًا، رأى لهم مشافر كمشافر الإبل يقذفون في أفواههم قطعًا من نار كالأحجار فتخرج من أدبارهم، ورأى أكلة الربا لهم بطون كبيرة لا يقدرون لأجلها أن يتحولوا عن مكانهم، ويمرُّ بهم آل فرعون حين يُعْرَضُون على النار فيطؤونهم، ورأى الزناة بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن يأكلون من الغث المنتن ويتركون الطيب السمين، ورأى النساء اللاتي يدخلن على أزواجهن من ليس من أولادهم رآهن معلقات بِثُدِيِّهِن.

وكانت هجرته إلى المدينة بعد أن بايعه جماعة من أهلها الأوس والخزرج الذين اشتهروا بالأنصار، وكانوا قد بايعوه بعد أن عرض عليهم الإسلام في موسم الحج فأسلموا وتعهدوا له بأن يحموه ومن معه كما يحمون أنفسهم وأهليهم إذا هاجر إليهم.

وهاجر بعض المستضعفين من المسلمين سِرًّا، إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه هاجر علانية، وتوعد من يعترضه بما يكره.

وقامت دولة الإسلام، وَرُفِعت رايةُ الجهاد إظهارًا للحق ورحمةً للخلق، حتى يَدْخُلَ الإسلامَ مَنْ أراد الله هدايته، وحتى يَكُفَّ الكفار المعادون للإسلام وأهله المعاندون عن الصدِّ عن دين الإسلام وإلحاق الأذى بالمستضعفين من المسلمين.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧) واللفظ لهما، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤٩)، والسلسلة الصحيحة (٢٧٣٥).

أخذ ﷺ بالمدينة عشر سنين اكتمل فيها نزول القرآن.

وأرسل البعوث، وكتب الكتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، فمنهم من أسلم كالنجاشي ملك الحبشة، ومنهم من لم يسلم فقامت عليه الحجة وبرئت منه ذمة الرسول ﷺ؛ لأنه رسول الله إلى الناس كافة كما قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

وحج بالناس حجة الوداع التي وَدَّعَ فيها أصحابه، وقال: «لَعَلِّي لا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا»، وكانت حجته في السنة العاشرة للهجرة.

- **وكان من خطبه العظيمة التي خطبها في يوم عرفه ويوم النحر ما يأتي:**

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِككُم؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لعَلي لَا أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا»[١].

«إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَكَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ مِنْ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ. فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللَّهِ»[٢].

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلا أُمَّةَ بَعْدَكُمْ، أَلا فَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ طَيِّبَةً بِهَا أَنْفُسُكُمْ، وتَحجُّونَ بَيْتَ رَبِّكُمْ، وَأَطِيعُوا وُلاةَ أَمْرِكُمْ، تَدْخُلُوا جُنَّةَ رَبِّكُمْ»[٣].

«وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ الْمُسَبِّحَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[٤].

وكان الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة: ربيعة بن أمية بن خلف.

وبعد أن فرغ النبي ﷺ من إلقاء الخطبة نزل عليه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. ولما نزلت بكى عمر رضي الله عنه فقال له النبي ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ؟ قال: أَبْكِي أَنَّا كُنَّا فِي زِيَادَةٍ مِنْ دِينِنَا،

(١) أخرجه النسائي (٣٠٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٨٢).
(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨).
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧٥٣٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٣٣).
(٤) أخرجه مسلم (١٢١٨).

فَأَمَّا إِذَا كَمُلَ فَإِنَّهُ لَمْ يَكْمُلْ شَيْءٌ قَطُّ إِلَّا نَقَصَ، فقالَ: صَدَقْتَ»(١).

وخطب ﷺ يوم النحر عاشر ذي الحجة حين ارتفع الضحى وهو على بغلة شهباء، وعلي ﷺ يُعبِّرُ عنه، والناس بين قائم وقاعد، وأعاد في خطبته هذه بعض ما ألقاه أمس.

روى الشيخان عن أبي بكرة ﷺ قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر فقال: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وَذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، وَقَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَتْ الْبَلْدَةَ؟ قُلْنَا : بَلَى، قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمُ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا : نَعَمْ»(٢).

«لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ عَلَى وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ، أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدًا، وَلَكِنْ سَتَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِيمَا تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَسَيَرْضَى بِهِ»(٣).

- **ومما يجدر التنبيه عليه:**

١- أن قوله ﷺ: «أَلَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَبَدًا» وفي رواية: «فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»، لا يعني نفي وقوع الشرك وعبادة الشيطان في مكة وفي جزيرة العرب، وإنما ذلك إخبار منه ﷺ بما حصل للشيطان–أعاذنا الله منه–من اليأس بعد ما رأى من ظهور دين الإسلام وزهوق الباطل.

٢- أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، ويأس الشيطان أن يُعبد؛ لأنه لا يعلم الغيب من باب أولى، وإلَّا فإن ما وقع من الشرك في العالم الإسلامي ومنه ما تقدم تفصيله في معنى الشهادتين والعبادة ما هو إلا رجوع إلى الجاهلية الأولى بالنسبة للمشركين المنتسبين إلى الإسلام، وهو مصداق ما أخبر به ﷺ من عود الإسلام غريبًا كما بدأ.

وبعد رجوعه ﷺ إلى المدينة ببضع وثمانين ليلة، أتاه اليقين من ربه فوافته المَنِيَّةُ في الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة، بعد أن بَلَّغَ الرسالة وأَدَّى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أفضل

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٤٠٨).
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٠٦)، مسلم (١٦٧٩).
(٣) أخرجه الترمذي (٢١٥٩)، وابن ماجه (٣٠٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٨٠).

ما جزى به نبيًا عن أمته، وعمره ثلاث وستون سنة قمرية.

نسأل الله أن لا يحرمنا شفاعته، وأن يسقينا من حوضه، وأن يجمعنا به في دار كرامته، آمين.

هذا وقد حصل بوفاته لأصحابه ﷺ أمر عظيم من الحزن، حتى أظلمت الدنيا في أعينهم، وضاقت عليهم المدينة، واستوحشوا في أسواقها، حتى إن عمر ﷺ وقف في الناس في المسجد ينكر على من يقول: مات رسول الله ﷺ ويقول: «**إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ، لَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى وَسَيَعُودُ**».

حتى جاء أبو بكر ﷺ من العوالي لما بلغه الخبر، فدخل على رسول الله ﷺ في حجرة ابنته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو مُغَطًّى بثوب، فكشف عن وجهه الشريف وقَبَّلَه بين عينيه وبكى، وقال: «**بأبي أنت وأُمّي، طِبت حيًّا وميتًا**»، ثم خرج إلى الناس وخطب فيهم وحمد الله وأثنى عليه، وجلس عمر. وقال: «**مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ**»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾**﴾[آل عمران:١٤٤].

خلافة أبي بكر الصديق ﷺ

فاطمأنت قلوب الصحابة وعلى رأسهم عمر ﷺ، وانشرحت صدورهم بهذه الآية حتى قال عمر:

«**كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْهَا إِلَّا الآنَ**»، وأيقنوا بموت رسول الله ﷺ ورضوا بقدر الله، وحمدوا الله واسترجعوا واستعانوا على تلك المصيبة بالصبر والصلاة والحمد والاسترجاع، فأنزل الله عليهم السكينة وثبَّتهم، والحمد لله رب العالمين.

انشغل الصحابة ﷺ بعد موت رسول الله ﷺ عن تجهيزه والصلاة عليه بأمر الخلافة، حتى اتفقوا على مبايعة أبي بكر ﷺ بعد خلاف بين المهاجرين والأنصار لم يتجاوز الحوار فيما بينهم، وبعد أن تبيَّن للجميع أحقِّية أبي بكر بالخلافة بعدما ذكر بعضهم بعضًا مبررات توليته وفي مقدمتها:

أولًا: تقديم النبي ﷺ له واستخلافه في الصلاة حتى في مرض موته، حيث قال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**. فقَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: **يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقُ القَلْبِ، إِذَا قَامَ يُصَلِّي بَكَى**-تَعْنِي فِي هَذِهِ الحَالِ-فَغَضِبَ ﷺ وَقَالَ: **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»[(١)] فصلَّى بهم أبو بكر، واستخلفه مرارًا في حال صحته.

ثانيًا: ولذا قال الصحابة: «**رَضِيَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِدِينِنَا، أَفَلَا نَرْضَاهُ لِدُنْيَانَا؛ فَبَايِعُوهُ**».

ثالثًا: واستدلوا بأمره ﷺ بسدِّ جميع الأبواب التي على المسجد إلا خوخة أبي بكر، أي: بابه.

رابعًا: وبأن أبا بكر أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال.

خامسًا: وصدَّق أبو بكر رسول الله ﷺ في كل أخباره، حتى في أمر الإسراء والمعراج فقد صدَّقه قبل أن يسمع الخبر من رسول الله ﷺ، بمجرد أن سمعه من المشركين الذين

يريدون إلقاء الشك في قلبه، فسمَّاه النبي ﷺ بالصِّدِّيق.

سادسًا: واستدلوا بقوله ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»[(٢)].

سابعًا: وبمواقفه الإيمانية منذ أسلم.

ثامنًا: واصطحبه ﷺ في الهجرة.

تاسعًا: وأثنى الله سبحانه عليه في كتابه في عدة آيات منها: قوله تعالى: ﴿**ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[التوبة:٤٠]، وقوله سبحانه: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٦)، ومسلم (٥٣٢).

﴿وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور:٢٢]، نزلت هذه الآية في أبي بكر ﷺ بعد حديث الإفك، لما حلف أن يقطع النفقة عن قريب له من المهاجرين اسمه: مِسْطَح؛ بسبب وقوعه في جريمة الإفك، وقد أقام ﷺ عليه الحدَّ مع من أقامه عليهم بأمر الله سبحانه، فقال ﷺ: «**بَلَى واللهِ أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي**»، فأعاد النفقة إلى مِسْطَح.

وكان ﷺ من أكثر قريش مالًا فأنفقه في سبيل الله، وكان قبل الهجرة يشتري العبيد الذين يعذبهم سادتهم من المشركين على الإسلام مثل: بلال ﷺ، ويعتقهم.

ومواقفه الإيمانية المشرِّفة قبل الهجرة وبعدها الدالة على عظمة إيمانه ورجاحة عقله وشجاعته في الحق أشهر من أن تُذكَر، بل ولم يصل إليها أحد من الصحابة على ما آتاهم الله من العلم والإيمان والعقل، ولذا؛ شَهِدَ له الإمام علي بن أبي طالب ﷺ بأنه الأولى بالخلافة لما بايعه.

وبعد بيعة أبي بكر ﷺ غَسَّلَ الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ، وكفنوه في ثلاثة أثواب سَحُولية من قطن، أدرجوه فيها ليس فيها قميص ولا عمامة، والذين قاموا بغسله: العباس، وعليٌّ، والفضل وقثم ابني العباس، وشقران مولى النبي ﷺ، وأسامة بن زيد وأوس بن خولة. فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعليٌّ يُغَسِّلُه، وأوس أسنده إلى صدره.

واختلفوا في موضع دفنه ﷺ فقال أبو بكر ﷺ: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ**»(١) فرفع أبو طلحة ﷺ فراشه الذي تُوفي عليه، فحفر تحته، وجعل القبر لحدًا.

ثم دخل الناس الحجرة أرسالًا عشرة عشرة يصلُّون على رسول الله ﷺ، ولا يؤمُّهم أحد.

صلَّى عليه أولًا أهل عشيرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم صلَّت عليه النساء بعد الرجال، ثم صلَّى عليه الصبيان.

ولم يُدفن إلا في جوف ليلة الأربعاء، وكانت وفاته ﷺ ضحى يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول، سنة أحد عشر للهجرة، وعمره ثلاث وستون سنة وزيادة أربعة أيام(٢).

وكانت حجرة عائشة التي دُفِنَ فيها المصطفى ﷺ خارج المسجد، وغيرها من الحجرات.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٧٠).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، وتفاسير السلف، وصحيح الإمام البخاري وشرحه في فتح الباري، وصحيح مسلم (باب مرض النبي ﷺ) وعدة أبواب بعده، ومشكاة المصابيح، ومختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ عبدالله بن الإمام محمد بن عبدالوهاب، والرحيق المختوم للمباركفوري، باختصار.

دَفْنُ النبي ﷺ في بيت النبوة

ولم يُبْنَ على قبره شيء، وإنما دُفِنَ داخل البناء.

وأما دخوله في المسجد فهو في زمن الوليد بن عبدالملك ولم يكن في عهد الخلفاء الراشدين وصدر من خلافة بني أمية، وإنما كان إدخال الوليد للقبر بحجة التوسعة، والمحافظة عليه ﷺ وصاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأمّا القُبَّةُ التي على القبر فهي محدثة في القرن السابع الهجري، من جملة ما حدث من البدع في العالم الإسلامي بعد عهد النبوة والخلافة الراشدة وموت القرون الأولى من السلف الصالح، والله المستعان.

وقد أنكر السلف الصالح – رحمهم الله – تلك البدع، وأولها إدخال القبر في المسجد، وبناء القُبَّة عليه، ولكنهم تركوا تغييرها باليد درءًا للمفسدة وخشية الفتنة.

بيت النبوة وذكر أزواجه ﷺ

- **نذكر فيه من مسائل العلم ما يأتي:**

أهل بيت النبي ﷺ هم الذين تحرُم عليهم الصدقة، وهم: آل علي بن أبي طالب، وآل جعفر بن أبي طالب، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، وأزواج النبي ﷺ، وقد دَلَّ على دخول أزواجه ﷺ في أهل بيته عدة أدلة منها: قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب:٣٢-٣٤].

- وأمّا تفصيل القول في زوجاته وأسباب زواجه بهن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، فقد تقدَّم ذكر زواجه بخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو في مكة قبل النبوة، وهي في سن الأربعين، وهو في سن الخامسة والعشرين، وهي أُمُّ أولاده إلا إبراهيم فهو من مارية القبطية. وفي هذا من التشريع:

١) مشروعية زواج الشاب بمن تكبره سنًا ولو بكثير، وأنه لا يجوز عيب من فعل ذلك.

٢) مشروعية زواج الشاب بالثيب وأُمِّ الأولاد، وأن في ذلك أجر عظيم إذا نوى إعفافها وإكرامها والإحسان إلى أولادها.

٣) خصوصيته ﷺ بالزواج بأكثر من أربع.

٤) أن أكثر زوجاته تزوجهن لحكمة التشريع كما سيأتي.

بيت النبوة

تزوج بثلاث عشرة امرأة، هُنَّ: خديجة، وسودة بنت زمعة تزوجها بعد وفاة خديجة وكانت قبله زوجة للسكران بن عمرو ومات

عنها، وعائشة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهي أم تسع سنين وعمره ﷺ يزيد على الخمسين، وقد عُقِدَ له عليها وهي أم ست سنين، وقيل: سبع.

في زواجه بعائشة مشروعية تزوج الكبير في سنه بمن تصغره بكثير إذا رضيت بذلك، وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بكرًا، ولم يتزوج ﷺ بكرًا غيرها.

كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أحبَّ النساء إليه، وأبوها أحبّ الرجال إليه كما صَحَّ عنه ذلك، وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أفقه نساء الأمة وأعلمهن(١).

ثم تزوج حفصة بنت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكانت قد تأيمت من زوجها خنيس بن حذافة السهمي.

ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بني هلال من عامر بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وكانت تسمى أم المساكين، وكانت بعد عبد الله بن جحش لما استشهد في أحد.

ثم تزوج أم سلمة هند بنت أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد أن مات عنها أبو سلمة.

ثم تزوج زينب بنت جحش بن رباب من بني أسد بن خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي بنت عمته ﷺ، وكانت تحت زيد بن حارثة الذي تبنَّاه الرسول ﷺ.

في زواجه بزينب بنت جحش: مشروعية الزواج بزوجة المُتَبنَّى، وأنه لا يجوز تسميته ابنًا للمُتَبَنِّي، ولا يجوز تحريم التزوج بزوجته إذا طلقها أو مات عنها كما هي عادة أهل الجاهلية.

ثم تزوج بجويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من خزاعة، كانت في سبي بني المصطلق، وكانت في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها، فقضى رسول الله ﷺ كتابتها وتزوجها.

ثم تزوج أم حبيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رملة بنت أبي سفيان، كانت تحت عبيد الله بن جحش وهاجرت معه إلى الحبشة فارتد عن الإسلام وتنصر–والعياذ بالله–وتُوفي في الحبشة، وثبَّتها الله على دينها، وخطبها رسول الله ﷺ من النجاشي، فزوجه إيَّاها سنة سبع من الهجرة، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة.

(١) بعلمها رضي الله عنها انتفعت أمة محمد ﷺ، وبه فَضُلَتْ جميع زوجاته ﷺ وجميع نساء الأمة، إضافة إلى حُبِّ رسول الله ﷺ لها.

الحكمة في زواجه بنسائه ﷺ

في خطبة النبي ﷺ أم حبيبة من النجاشي ملك الحبشة وتزويجه لها تشريع ولاية الحاكم أو نائبه على من لا ولي لها، وأنه يزوجها برضاها على الكفء.

ثم تزوج ﷺ صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنت حيي بن أخطب من بني إسرائيل، وكانت من سبي خيبر، فاصطفاها لنفسه وأعتقها وتزوجها.

ثم تزوج ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فهذه إحدى عشرة زوجة، تُوفي منهن اثنتان في حياته، وهما: خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وزينب أم المساكين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتُوفي عن التسع الباقيات.

واثنتان لم يبنِ بهما، فواحدة من بني كلاب، وأخرى من كنده وهي المعروفة بالجوينة.

وأمّا السرارى فهما: مارية القبطية، وريحانة بنت زيد من بني النضير، وقيل: من بني قريظة.

زواجه ﷺ بهذا العدد من النساء إنما كان بعد وفاة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعمره يزيد على الخمسين عامًا، بعد ما قضى شبابه نحو ثلاثين سنة مع زوجة واحدة أكبر منه بخمس عشرة سنة، وهذا من أكبر الأدلة على أنه لم يكن الدافع له الشهوة.

رغم أنه يحب من الدنيا النساء والطِّيب، كما جاء عنه ﷺ قوله: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»(١).

حبه ﷺ للنساء والطِّيب؛ لأن هاتين المتعتين من متاع الدنيا، يعينان على طاعة الله ويفرح بهما القلب، ولا يشغلانه عن طاعة الله كغيرهما من متع الدنيا.

بالإضافة إلى ما فيهما من إعفاف للزوجات.

وفي التطيب نشر الرائحة الطيبة التي يتمتع بها الناس ويحبون صاحبها، وكذا الملائكة، وتطيب بها المساجد.

لو كان الدافع له ﷺ الشهوة لتزوج في ريعان شبابه أجمل فتيات العرب؛ لأن الكل يفرح بتزويجه، فهو أشرف وأكرم رجل في العرب.

لكن الدافع له هو تأليف سادات العرب بمصاهرتهم؛ لنصرة الإسلام من ناحية.

ومن ناحية أخرى: لتعليم هذا العدد من النساء الفُضليات الطاعِنات في السِّنِّ أمور الدين والحياة الزوجية الشرعية الكريمة؛ لكي ينقلنها إلى الأمة، وقد حصل ذلك ولله الحمد.

مشروعية الاقتداء به ﷺ في تعدد الزوجات، شريطة عدم الزيادة على أربع إلا ملك اليمين؛ لأن ما زاد على أربع من خصائصه

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٢٩٤)، والنسائي (٣٩٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

ﷺ التي لا يجوز الاقتداء به فيها، وذلك لمن يعدل ويتأسى به في عدله وصبره وإحسانه إلى زوجاته رغم ما هو به من شَظَفِ العيش وقلة ذات اليد، ولم تكن قلة ذات يده ﷺ نتيجة الفقر، وإنما هي نتيجة إنفاقه كل ما جاءه من المال في حاجات المسلمين.

من فوائد التعدد المشروع

١- التعدد هو الحل الوحيد لمشكلة عدم زواج الكثير من النساء؛ لأن الرجل يستطيع القوامة بعدد من النساء، فيعفهن، وينفق عليهن، وينجب منهن أولادًا يقومون بخدمتهن وإكرامهن خصوصًا عند الكبر.

٢- وفوق ذلك ما في التعدد من صيانة المجتمع من انتشار الرذيلة والفساد، وانتشار الأمراض والفتن.

٣- ويحصل تكثير عدد المسلمين بطريقة شرعية شريفة يحبها الله ويرضاها، وقد وصَّى بذلك رسول الله ﷺ فقال: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الأُمَمَ»[1].

٤- بخلاف النظم الوضعية الظالمة التي تَحْرم النساء الأيامات والعوانس من الزواج بمنع التعدد؛ الأمر الذي نشر البِغاء والتشرد والفقر والمرض بين الشعوب التي تحكمها تلك النظم الكافرة.

٥- مشروعية إسكان كل زوجة يتزوجها الرجل في بيت مستقل، إلا إذا رضيت بالسكنى مع غيرها.

أخلاقه ﷺ

- **نستفيد من أخلاقه ﷺ الكثير من مسائل العلم التي نسأل الله أن يرزقنا التحلي بها ومنها المسائل التالية:**

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٧٨٩)، وأحمد (١٣٥٦٩)، وابن حبان (٤٠٢٨) بلفظ: «... إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُم الْأَنْبِيَاء يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

١- يكفي لوصف النبي محمد ﷺ بأن الله سبحانه قد أكرمه بأحسن الأخلاق حتى بلغ ذروتها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم:٤]، فهو أكمل الناس وأجملهم خَلْقًا وخُلُقًا على الإطلاق؛ ولذا وصفت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خُلُقه ﷺ لما سُئِلَتْ عنه بقولها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»(١)، وهذا أبلغ وصف وأوجزه وأكمله وأجمله.

٢- إذ ليس في القرآن الكريم من أمر إلا وهو القدوة في امتثاله، ولا نهي إلا وهو القدوة في تركه، ولا مَدْح إلا وهو المقَدَّم فيه، فيجب علينا التخلق بالقرآن؛ امتثالًا لأمر الله تعالى واقتداءً بنبيه ﷺ، إذ لا نجاة لنا ولا سعادة إلا باتباعه ﷺ.

٣- نذكر أبرز صفاته الخِلْقِية لنعلم أنها أحسن الصفات، ومن استحسن خلافها فإنما هو فساد في ذوقه وفطرته: كان ﷺ رَبْعَةً ليس بالقصير ولا بالطويل، أَبْيَضَ اللونِ مُشْرَبًا بِحُمْرَةٍ ، شديد سواد الشَّعر(٢)، رأسه أجمل رأس، أسيل الخدين(٣)، أقنى الأنف(٤)، أجلى الجبين(٥)، كَثُّ اللحية، يقص شاربه، وجهه مستدير مستنير أجمل من القمر ليلة البدر الصافية، واسع الفم، باسم المحيا، أفصح الناس لسانًا، كلامه كالدُّرر كله حكم، رَحْب الكفين(٦)، مُفَلَّج ما بين الثنيتين(٧)، أدعج العينين(٨)، بعيد ما بين المنكبين، لا يضحك إلا تبسمًا، أحسن الناس عنقًا، إذا مشى كأنما ينصب من منحدر، لا يلتفت إلا جميعًا، بين كتفيه خاتم النبوة أنبته الله كالثآليل(٩). (محمد رسول الله ﷺ)، ومن أراد المزيد من صفاته فليراجع السيرة النبوية.

شروط رؤيا المنام الصحيحة

ذكرت هذه الصفات الجسدية له ﷺ؛ لما في ذلك من شرف معرفته، ولكي يعرفه من رآه في المنام؛ لأن الشيطان لا يتمثل في صورته.

أما من رأى غير صورته أو خاطبه شخص مُدَّعِيًا أنه رسول الله دون أن يراه فهو الشيطان يَكذِب على رسول الله ﷺ.

لابد من عرض الرؤيا على الكتاب والسنة، فإن كانت مخالفة للشرع فهي باطلة، حتى وإن تمثَّل الشيطان في صورة تشبه صورة النبي

(١) أخرجه أحمد (٢٤٦٠١)، وهو عند مسلم (٧٤٦) بلفظ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ح كَانَ الْقُرْآنَ».
(٢) وما تصنعه بعض النساء–هداهنَّ الله–في هذا الزمان واللاتي أعطاهنَّ الله شعرًا أسود بصبغه بألوان مختلفة ما هو إلَّا مخالفة منهنَّ للسنة وفساد في الفطرة. (المؤلِّف)
(٣) أي: سهلهما ليس بهما نتوء.
(٤) هو الأشَمُّ الجميل.
(٥) أجلى: واسع منور.
(٦) أي: مبسوطتان.
(٧) أي: بين ثنيتيه فتحة جميلة.
(٨) أي: شديد سوادهما، والحَوَر: شدة البياض مع شدة السواد في العين.
(٩) الثآليل : جمع ثُؤلُول، وفي الحديث في صفة خاتم النبوة كأنه ثآليل، الثآليل: جمع ثؤلول وهو الحبة تظهر في الجلد كالحِمَّصة فما دونها (معجم لسان العرب لابن منظور).

ﷺ؛ لأنه يشترط لصحة رؤيا رسول الله ﷺ الشرطان المتقدمان، وهما: رؤيته على صورته المذكورة، والثاني: أن يكون ما يأمر به أو ينهى عنه أو يُقِرُّه في الرؤيا موافقًا لشريعته، وهي الكتاب والسنة الصحيحة.

وهكذا الحال في كل رؤيا، فإنها لا تُقبل ولا تكون حقًّا إلا إذا كانت تتفق مع الشريعة، فإن خالفت فهي من الشيطان، أعاذنا الله منه.

- **فيما يلي نذكر جملة من أخلاقه الكريمة**؛ رجاء أن نتأسى به فيها، امتثالًا لقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[الأحزاب:٢١]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران:٣١]. فهو ﷺ القدوة الحسنة في عبادته للخالق، ومعاملته للخلق.
- قد اتصف ﷺ بأجمل الأخلاق وأكملها، فهو الإمام ومَضْرِبُ المثل فيها، ولن نستطيع أن نأتي على جميع صفاته الفاضلة، ولكننا نكتفي بذكر أمثلة لها:

١- ففي الصدق والأمانة كان مَضْرِبَ المثل منذ طفولته حتى لقي ربه، ولذا سَمَّته قريش بالأمين، وتكذيبهم له لما أرسله الله سبحانه إنما كان حسدًا وتكبرًا، كحال إبليس-أعاذنا الله منه-ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأنعام:٣٣].

٢- وله الإمامة في التواضع والإحسان إلى جميع الناس، ابتداءً بقرابته الذين لهم حق صلة الرحم، فهو كما وصفته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهدَّأت رَوْعه لما جاءها ترجف بوادره بعد ما نزل عليه أول الوحي: «**كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**»(١).

٣- وكان يجلس حيث ينتهي به المجلس، ويعطي الإناء من على يمينه، وإن كان الذي على يساره أحق استأذن من على يمينه في إعطاء من على يساره قبله، ويصير مجلسه ولو كان أقصى القوم هو صدر المكان؛ لأن كل من بالمجلس يتوجهون إليه لمحبتهم له ومهابته.

٤- ولا يرضى أن يقوم الناس له ولا أن يقوم أحد فيجلس مكانه، ويقول: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١). وكان إذا سَلَّمَ على أحد لا يبدأ بسحب يده من يد من سَلَّمَ عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(١) أخرجه أحمد (١٦٨٣٠)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٥٧).

وكان ينصت لجليسه إذا تكلم حتى يفرغ من كلامه، ولا يتكلم إلا بذكر الله تعالى، أو بتعليم مَنْ عنده، أو بحكمة، بصوت فصيح هادئ. وكان إذا بلغه عن أحد من أصحابه ما يُنْتَقَد لا يصارحه أمام الناس بالنصيحة ولا يسميه، ولكنه يقول: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ؟! يَقُولُونَ كَذَا، أَوْ يَفْعَلُونَ وَكَذَا»[٢] ثم يبين الحق وينهى عن العيب.

وكان يخاطب الجاهل الذي لا يعرف الأحكام والحلال والحرام بالحوار المنطقي العقلي الذي يعرفه، فإذا اقتنع علمه الحكم الشرعي، ومن أمثلة ذلك: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ». فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ : «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ»[٣]، وفي رواية: «فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِمُحَمَّدٍ وَلا تَغْفِرْ مَعَنَا لأَحَدٍ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: لَقَدِ احْتَظَرْتَ وَاسِعًا»[٤]. فعلَّم ﷺ الأعرابي والناس أن المساجد تصان عن القذر والنجاسة، وأن ذلك يزال بصب الماء عليه. وجَاءَهُ شَابٌّ يستأذنه في الزنا فقال ﷺ له: «أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ؟ قَالَ : لا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لابْنَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ. قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ»[٥]، فاقتنع الشاب بهذا الحوار المنطقي المقنع.

كان ﷺ أجود الناس لوجه الله وأكرم الناس، لا يُسْأل شيئًا إلا أعطاه، وكَرَمُه قَصْدٌ يبتغي به وجه الله، لا يمنع موجودًا، ولا يتكلف مفقودًا، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. وكان يتألَّف بعطائه أحيانًا وُجَهَاءَ القوم وساداتهم ليدخلوا في الإسلام، أو ليقوى إسلامهم، ولكي يدعوا قومهم إليه ويكفُّوا شرَّهم.

كان ﷺ إمامًا في الحِلْمِ والصبر والعفو، فمن ذلك أن ملك الجبال عرض عليه بأمر الله سبحانه أن يطبق على أعدائه الأخشبين–وهما جبلان عظيمان يحيطان بمكة–لما بلغ أذى قومه له كل مبلغ فكان جوابه: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[٦]، ولما فتح مكة عنوة وحوله المسلمون من المهاجرين والأنصار لابسين لباس الحرب متقلدين السلاح ينتظرون أمره بقتال ألدّ أعدائه الذين أخرجوه والمؤمنين معه من مكة وأخذوا أموالهم وغزوه ﷺ والمسلمين بالمدينة بمن اجتمع إليهم من كفَّار العرب وقتلوا من المسلمين سبعين رجلًا من بينهم أسد الله في أرضه حمزة عمّ النبي ﷺ، فما كان منه ﷺ لما دخل المسجد الحرام إلا أن وقف بباب الكعبة ونادى قريشًا، وقد اجتمعوا بالمسجد بعد ما نادى مناديه: «مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الحَرَامَ فَهُو آمِنٌ. فقال: يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ ما ترَونَ أنِّي فَاعِلٌ بِكُم اليومَ ؟ فَقَالُوا: أَخٌ كريمٌ، وابنُ أخٍ كريمٍ. فَقَالَ: اذهَبُوا فَأَنْتُم

(٢) أخرجه أبو داود (٢/٦٦٥ برقم: ٤٧٨٨)، وقال الألباني: «صحيح» السلسلة الصحيحة (٥/٩٧ برقم: ٢٠٦٤).
(٣) أخرجه البخاري (٦٠٢٥)، ومسلم (٢٨٥)، واللفظ لمسلم.
(٤) أخرجه أحمد (١٠٥٣٣)، وابن ماجه (٥٢٩)، وقال محققو المسند: "حديث صحيح".
(٥) أخرجه أحمد (٢٢٢١١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٠).
(٦) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

الطُّلَقاءُ»[١]. وعفا عنهم وقال لهم مقالة يوسف لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[يوسف:٩٢].

كان أنظف الناس وأطهرهم جسمًا وملبسًا، وأطيبهم ريحًا، يُعرف المكانُ الذي مَرَّ به بطيب رائحته، يحب السواك ويستاك كثيرًا ويقول: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ»[٢]، ولا يأكل ما له رائحة كريهة كالثوم والبصل ونحوهما، وقال لمن سأله عن امتناعه ذلك: «إِنِّي أُنَاجِي مَنْ لَا تُنَاجِي»[٣] يعني: جبريل والملائكة عليهم السلام، وكان يأمر بالنظافة والاغتسال ويقول: «غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ»[٤] أي: بالغ، ويقول: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ»[٥]، وكان إذا خرج لقضاء حاجته استتر عن العيون، وكان يستجمر ويستنجي ويتحرز عن البول والنجاسات بعيدًا عن الوسواس ويدعو الناس إلى ذلك ويقول: «إِنَّ أَكْثَرَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ»[٦]. كان مضرب المثل في الشجاعة والشهامة والنجدة، فمن ذلك أنه الذي ثبت لما حصلت الهزيمة على المسلمين يوم حنين في بداية المعركة، ويوم أُحُد في نهايتها ثبت هو ونفر قليل، وحصل له جراحات عظيمة في جبينه ووجهه وجسده، وهو مُقْبِلٌ غير مُدْبِرٍ صابر محتسب، ينادي المسلمين هلمُّوا إليّ، ويشجعهم على الثبات في وجه عدوهم حتى تم لهم النصر. قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَوْمُ الْقَوْمَ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَا يَكُونُ أَحَدٌ مِنَّا أَدْنَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْهُ»[٧]. وقال أنس رضي الله عنه: «فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا»[٨]. كان ﷺ يُنزل الناس منازلهم، دون إشعار أدناهم بمهانة أو احتقار، بل جميعهم يلقون منه التقدير والإكرام، وتمتلئ قلوبهم بمحبته وإكباره. كان ﷺ أوصل الناس لرحمه، بل لقد أوصى بأهل مصر خيرًا وقال: «إِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا»[٩] يعني: هاجر أم إسماعيل عليه السلام، ومارية القبطية أم ابنه إبراهيم عليه السلام. وكان يكرم الجار ويأمر بإكرامه، وكان له جار يهودي فلما مرض زاره ودعاه إلى الإسلام وهو في مرض الموت فأسلم بإعلان الشهادتين فخرج من عنده فرحًا وهو يقول: «الحَمدُ لِلَّهِ الذِي أَنقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[١٠].

كانت جميع حركاته وسكناته عبادة لله تعالى، فهو يحتسب الأجر من الله حتى في المباحات من النوم والأكل ومعاشرة الزوجات، ينوي بذلك الاستعانة على طاعة الله ونفع الآخرين.

كان يعلِّم الناس أمور دينهم، والأخلاق الفاضلة، والآداب الإسلامية في كل الأحوال، يعلِّم الناس الخير وهو القدوة فيه، ففي الأكل والشرب يسمي الله ويأكل بثلاث أصابع مما يليه، ويلعق أصابعه، ولا يعيب طعامًا قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه، وكان

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٨٢٧٦)، ومعرفة السنن والآثار (١٨٢٣١).
(٢) أخرجه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢)، واللفظ للبخاري.
(٣) أخرجه البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤).
(٤) أخرجه البخاري (٨٧٩)، ومسلم (٨٤٦)، واللفظ للبخاري.
(٥) أخرجه البخاري (٨٥٥)، ومسلم (٥٦٤).
(٦) أخرجه أحمد (٩٠٥٩)، وابن ماجه (٣٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٢).
(٧) أخرجه الحاكم (٢٦٣٣)، وقال: "حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.
(٨) أخرجه البخاري (٣٠٤٠)، ومسلم (٢٣٠٧).
(٩) أخرجه مسلم (٢٥٤٣).
(١٠) أخرجه البخاري (١٣٥٦).

يحمد الله إذا فرغ. ورأى غلامًا تطيش يده في الصحفة فقال: «يَا غُلامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»[١] وأمر من سقطت منه اللقمة أن يأخذها ويميط ما علقها من الأذى ويأكلها ولا يدعها للشيطان[٢]ويأمر بلعق الإناء[٣]، وكان يقول: «مَا مَلأ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِن بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ آكِلٌ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[٤].

وكان يتعامل مع المسلمين ومع غير المسلمين أحسن المعاملة، سَمْحًا إذا باع، سَمْحًا إذا اشترى، سَمْحًا إذا قضى، بل يزيد صاحب الحق عند الوفاء على حقه، سَمْحًا إذا اقتضى، يأمر بإنظار المعسِر، ويُرَغِّب الموسِر في الإحسان والتيسير، مات ودرعه مرهون عند يهودي في آصُع من شعير، يتحمل إساءة صاحب الحق قولًا وفعلًا ويقول إن لصاحب الحق مقالًا.

كان إمامًا في الزهد والورع لا يأكل إلا حلالًا، فمن ذلك أنه وجد تمرة في الأرض فأخذها وأعطاها لغيره وقال: «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا»[٥]؛ لأن الصدقة لا تحل له ولا لأهل بيته بخلاف الهدية فإنه يقبلها ويثيب عليها ويأكلها.

يؤكد ﷺ على اكتساب الحلال، ويحذر من الكسب الحرام، ولما قال له سعد بن معاذ ﷺ: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ. قَالَ: يَا سَعْدُ أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ»[٦].

كان ﷺ لا يغضب لنفسه ويصبر، فإذا انتُهِكت محارمُ الله غضب لله غضبًا شديدًا حتى يغيّر المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم.

كان يأمر بالعدل والإحسان والسكينة والوقار وإكرام الناس وحسن المعاشرة ويقول: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ»[٧]، ويقول: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»[٨]، وكان يدرأ بالحسنة السيئة ويقول: «مَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ كَافَأْتُمُوهُ»[٩].
كان ينهى عن العجلة ويقول: (تَعِسَتِ العَجَلَةُ)، ويأمر بالرفق ويقول: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ»[١٠].

كان يتفاءل ولا يتطير، ويُرَوِّح عن أهله وأصحابه ويمازحهم بما يشرح صدورهم ويذهب عنهم السآمة بما لا محذور فيه ولا مُسْتَكْرَه، وينهى عن ترويع المسلم أو الإساءة إليه ولو بشيء يسير من المزح المؤذي من قول أو فعل.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٣٣).
(٤) أخرجه أحمد (١٧١٨٦)، والترمذي (٢٣٨٠)، والحاكم (٧٩٤٥)، وقال الترمذي: " حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٧٤).
(٥) أخرجه البخاري (٢٤٣١)، ومسلم (١٠٧١).
(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٤٩٥).
(٧) أخرجه أحمد (٣٩٤٨)، والترمذي (١٩٧٧)، وقال الترمذي: " حديث حسن غريب"، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٨١).
(٨) أخرجه البخاري (١٠).
(٩) أخرجه أحمد (٥٣٦٥)، وأبو داود (٥١٠٩)، والنسائي (٢٥٦٧)، وابن حبان (٣٤٠٨)، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح على شرط الشيخين"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٢١)، والسلسلة الصحيحة (٢٥٤).
(١٠) أخرجه أحمد (١٦٨٠٢)، وأبو داود (٤٨٠٧)، وابن ماجه (٣٦٨٨)، وابن حبان (٥٤٩)، وقال محققو المسند: "صحيح لغيره"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧١ و ٧٩٢١).

كان يحب المثل والحكمة، وكان ذلك يجري على لسانه عند مناسبته مثل: (عِنْدَ الْصَبَاح يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْسُّرَى)، (الْمُؤْمِنُ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ)، ويقول: (أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ: قَولُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ)، ويقول: (تَعِسَتِ العَجَلَةُ)، ويقول: (الْمُنْبَتُّ لا أَرْضًا قَطَعَ وَلا رَاحِلَةً أَبْقَى)، ويثني على حكم زهير بن أبي سلمى في معلقته التي يقول فيها: (وَمَنْ.. وَمَنْ)، ولكنه لا يقول الشعر، بل ولم ينطق ببيت منه كاملًا، وصدق الله سبحانه إذ يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾[يس:٦٩]، وقال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ-ثَلَاثًا-قَالَ الصَّحَابَةُ: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(١)، وقال: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(٢).

كان ملهمًا بليغًا آتاه الله جوامع الكلم فيجمع ذلك في مواعظه ودعائه وتوجيهاته لأصحابه فمن ذلك:

قوله: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَ تَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»(٣).

ويقول: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»(٤).

ويقول: «مَالِي وَلِلدُّنْيَا، وَمَا لِلدُّنْيَا وَمَالِي، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(٥).

ويقول: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ»(٦).

وقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»(٧).

ويقول: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْه كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(٨).

ويقول: «لَا حَسَدَ إِلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»(٩).

ويقول: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إليه مِن مَالِهِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ، قَالَ: مَا لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ، وَمَالُ وَارِثِكَ مَا أَخَّرْتَ»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١).

(٣) أخرجه أحمد (١٧١٢٣)، والترمذي (٢٤٥٩) والحاكم (٧٦٣٩)، وقال الترمذي: " حديث حسن".

(٤) أخرجه مسلم (١٠٥٤).

(٥) أخرجه أحمد (٢٧٤٤ و ٣٧٠٩)، والترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وابن حبان (٦٣٥٢)، وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وقال محققو المسند: "حديث صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٦٩)، والسلسلة الصحيحة (٤٣٨).

(٦) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠)، واللفظ للبخاري.

(٧) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٨) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٩) أخرجه البخاري (٧٣) ، ومسلم (٨١٦).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٤٢).

وذبحت عائشة رضي الله عنها شاة فقسمتها إلا الكتف أبقته له لأنه يحبه، فسأل عنها؟ فقالت: **قَسَمْتُهَا كُلَّهَا لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا الكَتِفُ**، فقال ﷺ: « بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا»(٢).

ويقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٣).

ويقول: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ، قَالُوا: **يَا رَسُولَ اللَّهِ و لِمَ ؟** قَالَ: لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا»(٤).

وجاء عنه ﷺ مشروعية الإقامة بينهم من أجل دعوتهم إلى الإسلام لمن كان أهلًا لذلك، كما أرسل معاذًا إلى أهل الكتاب باليمن، وحذَّره من دعوة المظلوم ولو كان كافرًا.

ومن أدعيته الموجزة التي يدعو بها ويأمر أمته بها:

«رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»(٥).

وقوله: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»(٦).

وقوله للأعرابي لما أسلم وطلب منه أن يعلمه دعاء جامعًا لخيري الدنيا والآخرة، قل: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ: الْهُدَى، وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَى»(٧).

وقال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»(٨).

وأمر بالإكثار من قول: **لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**، وقال: « إِنَّهَا مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ»(٩).

وأمر بالاستعاذة بالله في التشهد الأخير في الصلاة من أربع فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(١٠).

وقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ والبُخْلِ والهَرَمِ والقَسْوَةِ والعَيْلَةِ والذِّلَّةِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ والكُفْرِ والشِّرْك

---

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٢٤٠)، والترمذي (٢٤٧٠) والحاكم (٧١٩٣)، وقال الترمذي: "حديث صحيح"، وقال الحاكم: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وقال محققو المسند: "إسناده صحيح "، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٤) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥)، والترمذي (١٦٠٤)، والنسائي (٤٧٨٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦١)، وصححه في إرواء الغليل (١٢٠٧).

(٥) أخرجه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

(٦) أخرجه أحمد (٢٢١١٩)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٦٩).

(٧) أخرجه مسلم (٢٧٢١).

(٨) أخرجه مسلم (٤٠٨).

(٩) أخرجه أحمد (٢١٤١٥)، وقال محققو المسند: "حديث صحيح"، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٦٦).

(١٠) أخرجه مسلم (٥٨٨).

والنِّفاقِ والسُّمْعَةِ والرِّياءِ، وأعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ والبَكَمِ والجُنُونِ والبَرَصِ والجُذامِ وَسَيِّءِ الأَسْقامِ»[١].

وقال لأصحابه: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا»[٢].

وقال: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»[٣].

وقال: «رَبِّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لِي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ»[٤].

وقال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»[٥].

وقال: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»[٦] يعني: في أمور الدنيا، أما الدين فقد أمرنا الله ورسوله بالاقتداء بمن هو خير منا.

وقال: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[٧].

وقال: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»[٨].

وقال: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[٩].

وقال لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»[١٠].

وقال: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»[١١].

وقال: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ»[١٢].

وقال: «لا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ؛ فإِنَّهُمْ قد أَفْضَوْا إِلى ما قَدَّمُوا»[١٣].

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٠٢٣)، والطبراني في المعجم الصغير (٣١٦)، والحاكم (١٩٤٤)، وقال الحاكم: "حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه"، وسكت عنه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠)، واللفظ لمسلم.

(٤) أخرجه ابن خزيمة (٢٧٢٨)، والحاكم (٣٣٦٠)، وقال الحاكم: "حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وحسنه الحافظ ابن حجر، وذكره ابن علان في شرح الأذكار (٣٨٣/٤).

(٥) أخرجه مسلم (٢١٦٢).

(٦) أخرجه مسلم (٢٩٦٣).

(٧) أخرجه مسلم (٢٥٥٣).

(٨) أخرجه البخاري (٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥٦٠)، واللفظ لمسلم.

(٩) أخرجه أحمد (٥١١٥)، وأبو داود (٤٠٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٩).

(١٠) أخرجه أحمد (٢٧٦٣)، والترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(١١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، والطبراني في الكبير (٥٩٧٢)، والحاكم (٧٨٧٣)، وقال الحاكم: "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٢)، والسلسلة الصحيحة (٩٤٤).

(١٢) أخرجه مسلم (١٨٢٨).

(١٣) أخرجه البخاري (١٣٩٣).

وقال: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ»(١).

وقال: «مَنْ ماتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٢).

كان ﷺ يعين أهله في بيته، ويقضي حاجته بنفسه، من ذلك أنه: يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويصلح ما يحتاج إلى إصلاح في منزله، وكان لا يتميز عن أصحابه إذا جلس بينهم، فيأتي إليهم الغريب الذي لا يعرفه فيقول: أيكم رسول الله؟ فيشيرون إليه. ولما قدم المدينة مهاجرًا كان أول ما بدأ به بنيان مسجده، وكان ينقل مع أصحابه اللبن وأحيانًا يحمل لبنتين، وهم يحملون واحدة واحدة لثقلها(٣).

ونزل مرة هو وأصحابه في أحد أسفاره في البر فأرادوا ذبح شاه فقال أحدهم: **عَلَيَّ ذَبْحُهَا**، وقال الآخر: **عَلَيَّ سَلْخُهَا**، وقال الثالث: **عَلَيَّ طَبْخُهَا**، فقال ﷺ: «وَعَلَيَّ جَمْعُ الْحَطَبِ»(٤)، فأرادوا أن يكفوه ذلك فأبى وجمع الحطب.

وكان مجلسه عامرًا بذكر الله وتعليم أصحابه، إلا أنه يتجنب ما فيه سآمتهم، فكان يتخولهم بالموعظة من حين لآخر.

مسك الختام: ذكر أمثلة لعبادته لربه، ودعوته إليه سبحانه، وثباته على الحق مهما كلفه الأمر، واشتد به الأذى:

كان ﷺ:

دائم الفكر والذكر، يتلذذ بمناجاة الله، ويحدوه الشوق إلى لقائه.

وإذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وكان يقول: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»(٥)، ويفرح في سفره إذا جاء وقتها، ويقول: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ، أَرِحْنَا بِهَا»(٦).

وكان يقوم أكثر الليل حتى تفطرت قدماه ولما قالت له أم المؤمنين: **لِمَ تَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟** فَقَالَ: أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟»(٧).

كان يخشع في صلاته، ويبكي في سجوده أحيانًا؛ حتى يُسمَع لصدره أزيزٌ كأزيز المِرْجَلِ.

وكان يصوم الاثنين والخميس، وستًّا من شوال، وأكثر شهر الله المحرم، والعاشر من شهر الله المحرم، وقال: «لَئِنْ بَقِيْتُ إِلَى قَابِلٍ

(١) أخرجه أحمد (٢٠٠٤٦)، وأبو داود (٤٩٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٣٨)، ومسلم (٩٣).

(٣) ولهذا ينبغي للمسلمين إذا أسسوا منزلة أو نزلوا برية أن يبدؤا بتهيئة المسجد والأذان لكل صلاة حتى لو كان واحدًا كالراعي فإنه يؤذن، لما ثبت عنه ﷺ من أَمْرِه بذلك، وإخباره بأن كل شيء يبلغه صوته يستغفر له حتى الشجر والحجر، وأنه يغفر للمؤذن مدى صوته.

(٤) ذكره الطبري في خلاصة سير سيد البشر (٨٧/١)، ولا يُعرف له إسناد في كتب السنة. انظر: الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث (٦٤/١).

(٥) أخرجه أحمد (١٢٢٩٤)، والنسائي (٣٩٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٦) أخرجه أحمد (٢٣٠٨٨)، وأبو داود (٤٩٨٥)،وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٩٢).

(٧) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

لأَصُومَنَّ اليَومَ التَّاسِعَ»[٨]، ويصوم أكثر شعبان من أوله، ويصلي سُبْحَةَ الضحى[٩].

وقال لمن طلب مرافقته في الجنة: «أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[١].

وقال لمن استوصاه: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[٢].

وَجَاءَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ إِلَى بُيُوتِهِ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: **أَيْنَ نَحْنُ مِنَ رسول الله ﷺ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ**. ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمْ: **أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ وَلَا أَنَامُ**، وَقَالَ الثَّانِي: **أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَلاَ أُفْطِرُ**، وَقَالَ الآخَرُ: **أَمَّا أَنَا فَلاَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ**، وَفِي رِوايةٍ وَقَالَ آخَرُ: **أَنَا لَا آكُلُ اللَّحْمَ**. فلمَّا أُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بمقالتِهم أنكرَ ذلك، وخطبَ الناسَ، وَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، وَإِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وآكُلُ اللَّحْمَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[٣].

وكان يأمر بالوسطية في الأمور، وينهى عن الغلو والتفريط، ويقول: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»[٤].

ويقول: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[٥].

وفي مجال تبليغ رسالة ربه صبر على ما لقي من قريش من الأذى الشديد والسخرية والاستهزاء والإهانة والسجن في الشِّعْبِ هو ومن معه ثلاث سنوات قطعوا عنهم خلالها الإمدادات حتى أكلوا ورق الشجر، فلما عجزت قريش عن صدِّه عن تبليغ رسالة ربه سلكت منهجًا آخر لصدِّه عن الدعوة إلى الله تعالى، وهو الإغراء الجاد بأعلى مراتب العزّ وتحقيق الأمنيات في الدنيا، فأرسلوا إليه عمه أبا طالب الذي كان يحميه ويدافع عنه رغم كفره، وطلبوا منه أن يقنعه بأن يترك التنديد بأصنامهم وتسفيه أحلامهم، ويتركوه يعتزل بدينه مقابل أن يجعلوه ملكًا عليهم إن كان يريد الملك، ويجمعوا له المال حتى يكون أغنى رجل فيهم إن كان يريد المال، أو يزوجوه أجمل فتيات في قريش إن كان يريد ذلك، فظنَّ أن عمه سَيُسْلِمُه ويتخلى عنه إذا لم يستجب لعرضهم المغري، فردَّ على عمه بكل ثقة واعتزاز بالله تعالى قائلًا: «يَا عَمّ، مَا بِي مَا يَقُولُونَ. وَاللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ مَا تَرَكْتُه حَتّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ دونَه»[٦] ثُمَّ انصرَفَ، فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ: **امْضِ فِي دَعْوَتِكَ فَلَنْ أُسْلِمَكَ أَبَدًا**.

---

(٨) أخرجه مسلم (١١٣٤).

(٩) السُّبْحَةُ : صلاة التطوع.

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٧١٦)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٧٨٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣٩).

(٦) رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية (٣٢٩/١)، ومن طريقه الطبري في تاريخ الرسل والملوك (٣٢٦/٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦٦/١). قال الألباني في السلسلة الضعيفة: "أخرجه ابن إسحاق في المغازي: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث: أن قريشًا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة ... وهذا إسناد ضعيف معضل، يعقوب بن

ولما ذهب إلى الطائف يدعو ثقيفًا إلى الإســـلام وكان ذلك قبل الهجرة ما كان منهم إلا أن ردّوا عليه ردًّا قبيحًا وبالغوا في أذيته وتكذيبه والســـخرية به، وقالوا: **لَمَّا كَذَّبَكَ قَومُكَ أَتَيْتَ إِلَيْنَا**، ومازال يدعوهم إلى عبادة الله وحده آحادًا وجماعات صـــابرًا على أذاهم عدة أيام ومعه مولاه زيد بن حارثة، ولكن أذاهم بلغ ذروته حينما أغروا به ســفهاءهم وعبيدهم يرجمونه ويســبونه حتى أدموا عقبيه، ومولاه زيد يمشـي خلفه يقيه من الحجارة، فتركهم وذهب خارج البلد، وجلس تحت حائط لبني ربيعة في ظل شـجرة حزينًا كئيبًا فتوجه إلى الله ﷻ بهذا التضـــرع والدعاء: «اللّهُمّ إلَيْكَ أَشْـــكُو ضَـــعْفَ قُوّتِي وَقِلّةَ حِيلَتِي وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرّاحِمِينَ أَنْتَ رَبّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهّمُنِي أَمْ إلَى عَدُوّ مَلّكْتَهُ أَمْرِي؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظّلُمَاتُ وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُك أَوْ يَحِلّ عَلَيّ سَخَطُك، لَك الْعُتْبَى حَتّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إلّا بِكَ»[(١)].

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت رحمتهما، فأرسلا إليه غلامًا لهما نصرانيًا اسمه (عَدَّاس) بِقِطْفٍ من عنب، فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ مَدَّ يده إليه قائلًا: «بِسْمِ اللهِ، ثُمَّ أَكَلَ. فَقَالَ عَدَّاسٌ: **إِنَّ هَذَا لَكَلامٌ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلادِ**. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مِنْ أَيِّ الْبِلادِ؟ وَمَا دِينُكَ؟ " قَالَ: **أَنَا نَصْرَانِيٌّ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى**، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى. فَقَالَ لَهُ: **وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى؟** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ذَاكَ أَخِي كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ، فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيهِ يُقَبِّلُه. فَقَالَ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ: **لَقَدْ سَحَرَهُ وَأَفْسَدَهُ عَلَيْنَا**، فَلَمَّا جَاءَهُمَا عَدَّاسٌ قَالا لَهُ : **وَيْحَكَ مَا هَذَا؟** قَالَ: **يَا سَيِّدِي مَا فِي الأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ لا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ**. قَالا لَهُ: **لا يَصْرِفَنَّكَ عَنْ دِينِكَ؛ فَإِنَّ دِينَكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ**»[(٢)].

ورجع رســول الله ﷺ إلى مكة كئيبًا حزينًا، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله جبريل ومعه ملك الجبال يســتأمره أن يطبق الأخشـبين على أهل مكة، فقال ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[(٣)]. وقد روى البخاري وغيره القصة مفصلة عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ.

عتبة هذا من ثقات أتباع التابعين، مات سنة ثمان وعشرين ومائة. وقد وجدت للحديث طريقًا أخرى بسند حسن لكن بلفظ: «أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَنَا بِأَقْدَرَ عَلَى أَنْ أَدَعَ لَكُمْ ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَسْتَشْعِلُوا لِي مِنْهَا شُعْلَةً». يعني الشمس.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨١)، والضياء القدسي في المختارة (١٦٢).
(٢) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٢٢١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٤١٥-٤١٦).
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

الدعوة والدعاة

في القصة السابقة والتي قبلها تعليم لكل داع إلى الله تعالى بأن يصبر ويتحمل أي أذى في سبيل الله، وأن لا ينتهز فرصة النصر على أعدائه وأعداء ربّه الصادّين عن دعوة الحق فيفتك بهم، ولكنه يعفو ويرجو الله أن يهديهم أو يخرج من أصلابهم من يؤمن بالله ويعبده وحده لا شريك له، وقد حصل للمصطفى ﷺ من خبر جبريل وملك الجبال طمأنينة ومواساة واستشعار بنصر الله له وأن الله ﷻ لن يضيعه.

إن أي عمل صالح يقوم به العبد يبتغي به وجه الله لا يضيع عند الله وإن ضاع عند الناس، بل إن الله ينصره بتحقيق ما يرجوه وهو لا يدري.

- **ونستفيد من قصة خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف لدعوتهم إلى الله بعد ما آذاه كفار مكة وتآمروا على قتله الفوائد الكثيرة ومنها:**

١- أنه ﷺ أدَّى واجب التبليغ نحو أهل الطائف، وإن لم يستجيبوا له لقوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى:٤٨]، ولقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية:٢١-٢٢] الآيات.

٢- وأنه أقام الحجة عليهم بذلك، وتأكد بذلك لديهم أنهم على ضلال وأن الحق والنجاة هو الدخول في الإسلام.

٣- وأن الشعور بالضلال يبقى يقلق ضمائرهم حتى يصير سببًا في هداية من شاء الله هدايته منهم، وحصول البلاغ ليس خاصًّا بالنبي ﷺ بل هو عام لكل داع إلى الخير متبع له ﷺ.

٤- أن الله سبحانه يهدي بدعوته من لا يعلمه الداعي من عباد الله ممن استمعوا له أو ممن تبلغهم دعوته من المبلغين، ويحصل ذلك الاهتداء لبعض الجنّ ممن سمعوه وهو لا يشعر بهم كما حصل للمصطفى ﷺ في رجوعه من الطائف في القصة السابقة، فإنه ﷺ لما نزل بوادي نخلة (السيل الكبير ولزيمه) أقام به ليستريح مما عانى من الأذى، وكان يقوم يصلي الليل ويتلو القرآن يسمعه من حوله بصوته الآخذ بالألباب، فصرف الله إليه نفرًا من الجن يستمعون القرآن فأخذت منهم آياته ومواعظه كل مأخذ، فكان منهم ما قَصَّ الله ﷻ عنهم بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف:٢٩-٣١]، فكان من بركة سفره إلى الطائف لتبليغ دعوة ربه أن الله سبحانه هدى به الجن، فاتبعوه ودعوا قومهم إلى أتباعه والإيمان بالقرآن والدخول في الإسلام كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن:١-٢].

تنبيه مهم يتعلق بالدعوة والدعاة

ويُستفاد من خروجه ﷺ إلى الطائف وليس معه إلا مولاه زيد مع إمكانه أن يصطحب معه عددًا ممن أسلموا كأبي بكر وبلال وغيرهما ﷺ، وكذلك يُستفاد من مواجهته لكفار قريش منذ نزل عليه:

﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾[المدثر:١-٢] الآيات، ودعوتهم إلى توحيد الله ونهيهم عن عبادة الأصنام، وكذلك فعله في دعوته للعرب في مواسم الحج ومع أهل الطائف لما وصل إليهم، واستمراره طيلة العهد المكي في الدعوة إلى التوحيد، وعدم طلبه من أهل مكة ولا من العرب ولا من أهل الطائف حتى بعد الهجرة لم يطلب من المدعوين الخروج لتغيير بيئتهم، ولم يترك التصريح لهم بأنهم ضالُّون وخاسرون إذا لم يوحدوا الله تعالى، ولم يشتغل بنهيهم عن شيء مما عليه أهل الجاهلية عن دعوتهم إلى توحيد الله ﷻ في الألوهية والعبادة، وهكذا جميع الرسل قبله.

- **يُستفاد من ذلك ومن دعوته ﷺ إلى توحيد الله تعالى لما كان بمكة قبل كل شيء، ومن قوله ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ لما بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»[1] إلى آخر الحديث فوائد كثيرة:**

١) أن البدء في الدعوة إلى الله سبحانه تكون مع الفرد والمجتمع المشرك قبل كل شيء، إلى تحقيق الشهادتين بإخلاص العبادة لله تعالى، وتوحيده في الألوهية، وتوحيد الرسول ﷺ بالمتابعة.

٢) وفي المجتمع المُوَحِّد الواقع في الكبائر تكون بنهيه فردًا أو جماعة عن فعلها مع بيان ضررها وسوء عاقبتها في الدنيا والآخرة، كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث.

٣) ويكون ذلك حسب مراتب التغيير الواردة في الحديث، مع وجوب اصطحاب الداعية في دعوته الحكمة وحسن التصرف والرفق والدعاء للمدعو بالهداية، وإشعاره بأن دعوته إلى ترك الشرك أو المعصية إنما هي رحمة به وحبا لنجاته، مع محاولة إقناعه بالحوار البناء وضرب الأمثال والبرهان المنطقي، كما هي طريق الرسل-عليهم الصلاة والسلام-.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩)، واللفظ للبخاري.

فهرس المحتويات

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ١٠
دَفْنُ النبي ﷺ في بيت النبوة ١٢
بيت النبوة وذكر أزواجه ﷺ ١٢
بيت النبوة ١٢
الحكمة في زواجه بنسائه ﷺ ١٤
من فوائد التعدد المشروع ١٥
أخلاقه ﷺ ١٥
شروط رؤيا المنام الصحيحة ١٦
ومن أدعيته الموجزة التي يدعو بها ويأمر أمته بها: ٢٢
كان ﷺ: ٢٤
الدعوة والدعاة ٢٧
تنبيه مهم يتعلق بالدعوة والدعاة ٢٨